قافلة الكتاب
في أصل الحديث

' ١١٠- حين يتحول تراب الوطن قبرا '

حين أتذكر فى قلبى لحد تراب وطنى الأسود يصبح نومى وكذلك طعامى بلا لذة عندما يفقد النوم وكذلك الطعام طعمهما فإن الحياة تعادل الموت عندئذ من الخطأ قول من يقول: إنها حياة هى تلك التى تمضى فى التأمل المؤلم والاضطراب من الأفضل أن أكون اليوم ملئ الفم بالتراب معفرا ما دام هذا طعامى وهذه ثيابى فى النهاية فى محله إن دفنت نفسى فى الأرض حيا حيث إن مكانى بعد الموت مكان مظلم عميق كأنه قد حدث ما كان أن يحدث حيث إننى مقتول قبل أن أقتل حين يكون القلب سليما متى يتم شق الصدر! من الصدر يتبين صدع القلب ينبغى أن يكون الجسد والمكان والثياب نظيفة طاهرة بشرط أن يتطهر قلب الإنسان أولا عن حب الآخرين الإنسان الكامل هو الذى يكون ظاهره كباطنه واحدا وليس الذى ظاهره ذهب أحمر وباطنه صمغ أحمر الإنسانية هى الهدف من الإنسان كله لا فرق بين أن يكون على رأسه طرة أو مسواكا

كل أمور الدنيا وأعمالها فانية لا بقاء لها يكون بعض في سعادة يومين وبعض في هم في ساعة يجعل البعض مسرورا والبعض حزينا هذه الأخلاق من عادات الفلك منذ القديم إن الله هو الذى يفعل كل ما يحدث، لا أحد غيره من هو عبد الرحمن.. ما اختياره، وما إدراكه؟

" ١٣١٢ "

' ١١١- التحطيم والتخديش '

يحطم فمي بقبضة اليد
ويخدش قلبي بالظفر
أصرخ أو أذرف الدموع
لا يبدى اهتماما بمقدار ذرة
تعالوا يا أهل الإنصاف وانظروا
هذا السلوك لمن يخطف القلوب
مثل الوردة في يد الطفل
يقطع قلبي قطعا قطعا
بغمزة واحدة من عينيه
تجرحت وتقطعت إربا إربا
يمتطي فرس الفلك الجموح
واضعا عمامته العوجاء فوق رأسه

لا يؤثـــــــــر فيـــــــــه أبـــــــــدا
ألم المتـــــــــألمين ووخزهـــــــــم
مـــن يعشـــــق يـــا عبـــد الرحمـــن
فليبـــك نفســـه بصـــراخ متـــوال

" ١٣٢٠ "

' ١١٢- حد الرمش وتجريح القلب '

يجـــرح قلبـــى بـــأطراف الرمـــوش الحـــادة
ويكســـر أســـنانى الاثنـــين والثلاثـــين بالقبضـــة
قتلنـــى بغمـــزات العيـــون الســـوداء
مجروحـا بجـراح كثـيرة، مقطوعـا قطعـا عديـدة
مهمـا صرخـت أو قمـت بنـثر الـتراب علـى رأسـى
فإنـه قـد حرمنـى بمقـدار ذرة مـن العنايـة
كـالوردة التـى يضعهـا أحـد فـى يـد طفـل
هكـذا قمـت بخطـف قلبـى خطفـا وهـزا
لـو انفجـر قلبـى مـن الألم الشـديد والهـم الكثـير
فـإن ألمـى ووخـزى ذلـك ليـس بشـئ فـى نظـره
قد أغرق العالم كله من رأسه إلى قدميه فى الغـم والهـم
سواء كان فقيرا فـى هـذا الدهـر أو ملكـا مـن ملوكـه
يمتطـى فـرس السـماء الجمـوح مثـل الشـمس
واضعـا عمامتـه المطرزة بـالذهب عوجـاء علـى رأسـه

إن كـان لديكـم عـدل وإنصـاف أيهـا المنصفـون
تعـالوا نـاظرين إلى سـلوك خـاطفى القلـوب
لمـاذا لا أقـوم بالثنـاء علـى حبيبـى ومدحـه
فى حين يرفع الضفدع نعراته فـى وقـت السـحر
مـن يعشـق جمـال خـاطفى القلـوب وحسـنهم
فليبـك - يـا عبـد الرحمـن - نفسـه بصرخـات

" ١٣٣٠ "

' ١١٣- التقدير لا يعالج بالتدبير '

ليس فى مقدور أحد أن يقوم بمعالجة التقدير بالتدبير فكيف يقوم أحد بتقديم النصح فى ذلك لأحد إن الأمور والأعمال التى تتوقف على التقدير ليس فى استطاعة أحد القيام بها بتحمل المشقة والبلاء من ينظر مؤمنا إلى القضاء والرضاء فعليه ألا يلقى اللوم فى ذلك على إنسان كل من جور المطلوب[1] ووفائه فضل وكرم فى نظر من كان يفهم حكمة الحكماء ويدركها من الذى يتمنى لنفسه الهم والغم، ولكن ماذا يفعل؟ حيث ليست لأحد قدرة التصرف فيما يفعله الله من الأعمال

(١) المطلوب: هو المعشوق، وهو الذات الإلهية. راجع ص٣٢٦ هـ٤ من هذا الكتاب.

فلينظـــر الإنســـان إلى رياضـــة إبليـــس وعبادتـــه
فمـا فـائدة كبريـاء الإنسـان بطاعتـه وعبادتـه ورياضتـه
المـــر ض يـــزول ولا تـــزول عـــادة الإنســـان
مـــا جعـــل الله أحـــدا تتـــأصل فيـــه عـــادة الســـيئات
أخذنـــى أنـــا عبـــد الرحمـــن ســـيل الفـــراق وطوفانـــه
آمـلا لـو مـد أحـد يـده إلىّ بنـاء علـى المحبـة الإلهيـة

" ١٣٣٨ "

' ١١٤- جمال الحبيب '

لا يعـرف أحـد مـا لـدى حبيبـى مـن الجمـال
لـو عرفـه إنسـان مـا غـادر ذلـك البـاب أبـدا
إن أمـور الدنيـا كلهـا فانيـة لا بقـاء لهـا
فـلا حـق لأحـد أن ينـثر الـتراب فـوق رأسـه حزنـا
مـن تم قبولـه فـى عتبـة قصـر أصحـاب الوجـوه القمريـة
لـن يوجـد أحـد سـعيدا مثـل سـعادته أبـدا
لـو وقـع نظـر أحـد مـن النـاس علـى وجـه حبيبـى
لـن ينظـر بعـده إلى وجـه آخـر أبـدا
مهمـا كـانت الكـثرة لمـن يخلـب القلـوب فـى العـالم
لـن يكـون أحـد أبـدا خـالب القلـب مثـل حبيبـى

ليســـت عنـــد أحـــد أبـــدا قـــدرة رؤيتـــه[1]

لأنه ليس فـى مقـدور أحـد أن ينظر مباشـرة إلى الشـمس

إن العشـــق درجـــة عاليـــة وقـــاعدة عجيبـــة

ليـس فـى إمكـان كـل واحـد مـن النـاس أن يبينهـا

لا يوجـد بـلاء أشـد وأصعـب مـن الهجـران[2]

مـا أصـاب الله أحـدا بجـراح هـذا المشـرط

لـن يميـل بوجهـه أبـدا وجهـة أخـرى

مـن أصبحـت حالتـه سـيئة بسـبب عيونـك الخمريـة

لـن يصـل إليـك بسـهولة ويسـر

مـن لم يضـع الـتراب علـى رأسـه مـن همـك

سـيندم فـى حسـرة، وسـيذرف الدمـوع بغـزارة

من لم يتمكن من الحصول على الخرزة[3] بمكعب[4] النرد

---

(١) معنى البيت مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**قال ربى أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى**﴾ الأعراف ٧.

(٢) الهجران: الهجر والهجران فى المصطلح الصوفى هو الالتفات إلى غير الله ظاهرا وباطنا.

(٣) الخرزة: ترجمة " گونته " بالأفغانية، و " مهره " بالدرية وهى قطعة من قطع النرد الذى يعرف بالطاولة.

(٤) مكعب النرد: ترجمة " ششدر " وهو الفص الذى يعرف بالزهر. والنرد عبارة عن صندوق وحجارة وفصين. تعتمد على الحظ وتنقل فيها الحجارة على حسب ما يأتى به الفص (الزهر) وتعرف بالطاولة.

لا تطلـــق عليـــه اســـم العشـــق (أو العاشـــق)
إن لم يصبـح قلنـدرا[1] (درويشـا) فـى هـم الحبيـب
مـــن لم ينظـــر إلى حبيبتـــه وعشـــيقته
فهـــو لا ينظـــر إلى الذهـــب والفضـــة[2]
لـــن يميـــل إلى أزهـــار روضـــة الأزاهـــير
مـــن يقضـــى نومـــه فـــى رمـــاد الحبيـــب
من الصعب السفر فى طريق العشق بدون دليل
هنـا يجـب أن يعثر أحـد مـن العشـاق علـى دليـل
مـــن يـــرى بعينيـــه الفـــراق وهـــو يعشـــق
فلـن يكـون مثـل عبـد الرحمـن بـلا فـن وخـبرة

" ١٣٥٤ "

' ١١٥- حسن الحسان '

مـــن لم يشـــغله الجمـــال وحســـن الحســـان
فـأى شـئ يشـغله فـى العـالم غـير الجمـال؟

---

١) قلندر: فرقة من الدراويش ألفها رجل اسمه قلندر الأندلسى فى القرن الثامن الهجرى، من مبادئها قطع الإنسان الأسباب بينه وبين دنياه زهدا ورياضة. ومن أهم ما تختص به هذه الفرقة المداومة على الترحال والذهاب فى الأرض تعبدا ورقا.

٢) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الشطرة الأولى للضرورة المعنوية.

كيـــف ينظـــر إلى خـــط[1] الغـــير وعبارتـــه[2]
مـــن يدقـــق النظـــر فـــى خطـــك وخـــالك[3]؟
بقيـــة الحســـان فـــى العـــالم بالنســـبة إلى وجهـــك
كمـــن يوقـــد الشـــمعة فـــى وجـــه الشـــمس
أصحاب القلوب[4] فـى الدنيـا صـاروا كالعنقـاء[5]
فـــإلى مـــن يقـــوم أحـــد بشـــرح أحوالـــه[6]؟
إذا كان العاشق يبكى فى عشـقه فليس بملوم أبـدا
لأنـه لا طاقـة لأحـد أن يتحمـل مثـل هـذه الآلام
حـين يتـم حديثـه وحـواره مـع الحبيـب
فكيـف يمكـن أن يتحـدث ويحـاور مـع الآخريـن؟

---

(١) الخط: كناية عن الشارب. راجع ص ٢٦٩ هـ ١ من هذا الكتاب

(٢) العبارة: عند أهل التصوف كناية عن وجه المحبوب. وهى فـى اللغـة بمعنى البيـان وتفسـير الكلام.

(٣) الخال: الشامة، وهى فى التصوف نقطة الوحدة الحقيقية، وإشارة إلى نقطة الوحـدة، وهـى مبدأ ومنتهى الكثرة

(٤) أصحاب القلوب: صاحب القلب كناية عن العاشق والعارف بالله، وهو فـى اللغـة بمعنى الشجاع والجرئ.

(٥) العنقاء: طائر وهمى ليس له وجود خارجى. راجع ص ١٠١ هـ١ من هذا الكتاب

(٦) الأحوال: الحال فى اصطـلاح الصوفيـة مفهـوم ومعنـى يـرد علـى الخـاطر بـلا كتـاب ولا اجتـلاب كـالقرب والمراقبـة والمحبـة والخـوف والرجـاء والشـوق والأنـس والاطمئنـان والمشاهدة.

إذا كـــان الله لم يخلـــق فـــى الأصـــل مثـــالا
فكيـــف تطلـــب منـــه مثيـــلا لوجهـــك [1]؟
احمـــرار وجـــه كـــل إنســـان مـــن دم كبـــده
وليس من الشال[2] الأحمر الذى يلبسه فوق رأسه
إن رونـــق وجـــه العاشـــق مـــن دموعـــه
ولا يـــروق وجهـــه بمســـحه بـــالمنديل
إن أمـــور الدنيـــا فانيـــة، والرجـــل الشـــجاع هـــو
الـــذى ينظـــر بدقـــة إلى الحـــرام والحـــلال
كـــل مـــن يـــزرع الشـــعير ويطلـــب القمـــح
فعليـــه أن يطـــرد هـــذا الخيـــال عـــن خـــاطره
اعتـــبر مـــن يفـــاخر بـــالعمل الصـــالح إنســـانا
لا الشـخص الـــذى يفـــاخر بملـــك الدنيـــا ومالهـــا
مـــن يصـــل إلى سمعـــه شـعر عبـد الرحمـــن المومنـدى
لـــن يصغـــى أبـــدا إلى شـــعر خـــوش حـــال[3] " ١٣٦٧ "

---

(١) المعنى مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**ليس كمثله شئ وهو السميع البصير**﴾ الشورى ١١

(٢) الشال: ما يوضع على الكتفين من نسيج من الصوف أو الحرير أو غيره؛ واسم قرية شهيرة فى أعالى وادى كونر، يقطنها فرع من سادات كونر وأشرافه المشهورين

(٣)خوش حال: هو الشاعر والزعيم الثائر خوش حال خـان بـن شـهباز خـان بـن يحيى خـان (١٠٢٢ - ١١٠٠هـ / ١٦١٣ - ١٦٨٩م) وقد نقد شعر عبد الرحمن بقوله:

فليكن مائة سربنيا فداء غـزل واحـد ❁ حيث أنشد الكرلانى الشعر بالأفغانية

تابع

١١٦ - قليل الحظ [1]

لو أن أحدا لم يكن مغموما من قليلى الحظ حظا
لماذا وكيف كان ينفصل عن حضورك؟
كل واحد يطلب رضاك لأجل رؤيتك
إلا أن الحكم والأمر لا يملكه أحد غيرك
لو كان أحد قادرا على التصرف فى أوامر الله
لم يكن يتحمل المشقة لحظة واحدة دون تحقيق المقصود
هذا رأس واحد قد قدمته نذرا لك
فعبثا من يقوم بعده بتهديدى خوفا على رأسى وقلبى

تكملة .....

فكان هذا البيت من شعر عبد الرحمن ردا عليه، ومن المعروف أن الشاعر عبد الرحمن سربنى موميندى، والزعيم خوش حال خان كرلانى ختكى، ويقول عبد الرحمن السربنى المومندى فى بيت آخر من شعره مفضلا نفسه وشعره على شعر خوش حال خان الكرلانى الختكى:

إن خوش حال ودولت من عبيدى ❁ فقد فتحت أنا عبد الرحمن العالم بالأفغانية

(١) ديوان عبد الرحمن ٨٧ تحقيق لفيف من علماء الأفغان، أكاديمية البشتو، كابل ١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م، ولا يذكرها ديوانه مقدمة مولانا عبد القادر، أكاديمية البشتو، پشاور ١٩٨٧م وكذلك ديوانه مقدمة سيد رسول رسا، وكالة الكتب الجامعية، پشاور ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ.

هـذا كلـه شـؤمي وسـوء حظـي الـذي يلاقينـي
وإلا فـأين أنـت وأيـن تقليـب قلـوب النـاس؟
لـو لم يكـن قـد ابتلـي بحـب ليلـى
فما شأن المجنون[1] المسكين وهـذه الصحـراء والجبـال؟
إن العاشـق يتحمـل كـل المشـقات والصعـاب
وإلا فـأين عبد الرحمـن وهـذا القـدر مـن القـول؟

" ١٣٧٤ "

(١) المجنون: هو قيس بن الملوح العامري.. راجع ص ٢٤١ هـ ١ من هذا الكتاب.

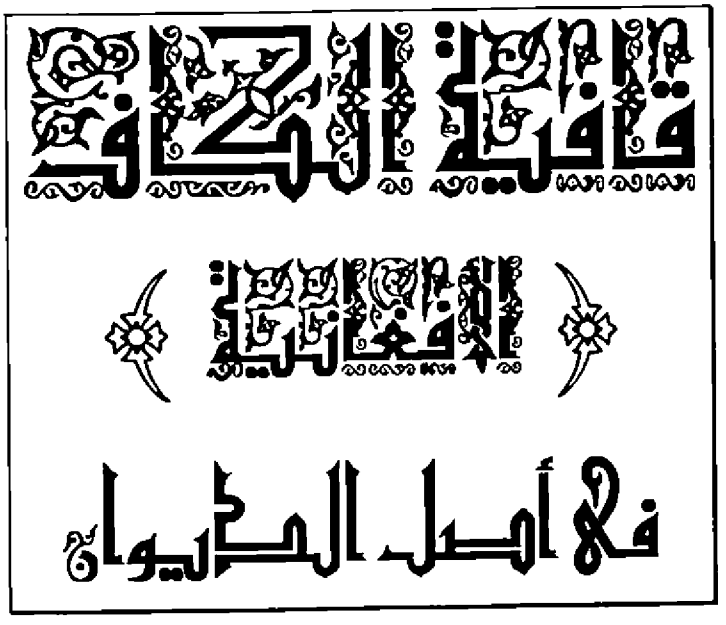
قافية الكاف
الإفغانية
في أصل الحيوان

' ١١٧- الدرع والقتال '

البس الدرع وشد الحزام استعدادا للقتال
بعد ذلك قم وخض معركة للغيرة والشهامة
لا تتحدث بأحاديث الغيرة إلى من لا غيرة له
أو اعتبر نفسك ملطخا بدمائك أنت
إن الأبطال المغاوير عندما يتجهون إلى جهة ما
فإنهم لا ينظرون إلى شئ آخر بئرا كان أو صخرا
لا يعلم نفسه ولا العالم المحيط بها أبدا
عندما يقع المصباح فى محيط دائرة نظر الفراشة
إن البلابل تقوم بالطيران متجهة نحو المروج
وحشرة " سمندر "[1] تقوم بالوثوب والقفز إلى النار
إذا كان العالم واسعا فى نظر عديم الفضل الجاهل
فإنه قبر (لحد) ضيق فى نظر أهل الفضل فى العالم
إن المدينة سجن مظلم بالنسبة للجوهرى
إذا كان الياقوت فيها يساوى جوهر الرصاص[2]

---

(١) سمندر: حشرة - كما يقال - تنشأ وتعيش فى النار. راجع ص ٣٠٨ هـ٢ من هذا الكتاب

(٢) جوهر الرصاص: ترجمة لكلمة " مردار سنك " الأفغانية و " مردار سنك " نوع من الجواهر المصنوعة من الرصاص حمراء اللون، ونوع من الدواء لعلاج الجروح.

إن السـماء والأرض كلتيهمـا فكـا تمسـاح
كيـف يعيـش الإنسـان فـى فـم التمسـاح؟
لا تفـرح أبـدا بفرحـه ومسـرته إن كنـت عـاقلا
حيث إن الغم والفـرح فى هـذا الدهـر متلازمـان معـا
إن كان فى المقدور أن يجد عبد الرحمن وصال الراحلين
فإنـه لـن يمكـث فـى هـذا الـدور لحظـة واحـدة

" ١٣٨٤ "